مقدمة الطبعة الثالثة

منذ نشـر الطبـعة الأولى لهذه الدراسة توقعت صعوبة استقبال القارئ لها ، وذلك لاعتبار ان التأليف فى النظرية الاجـتماعية يتنـاول عادة القضايا المجردة ، التى لاتتصل بوقائع أو احداث اجتماعية معينة ، الامـر الذى يجـعل من السـهل متابعتها لأن القارئ يلمس التفـعلات الواقـعية المرتبطـة بها . بيـد ان هذه الطبـعة مالبثت ان نفدت فى اقل من عامين .

ولقد دفعنى ذلك الى ان بذلت جهدا فى اعداد مخطوطة الطبعة الثانية ، لتصبح أكثر تنظيما ، فقمت بتعديل بعض الفقرات ، اضافة الى كتابة جزء كامل عن عالم الاجتماع فلفريدو باريتو . وبالطبع خرجت هذه الطبعة الى النور ، وأنا اعتقد انها كانت تفضل كثيرا الطبعة الأولى . غير انها بدورها مالبثت ان نفدت هى الاخرى ، وازدادت ثقتى فى القارئ العربى ، غير ان ذلك فرض علىّ احساسا بالخوف من قدرة هذا القارئ على المتابعة الأمر الذى دفعنى الى الاهتمام الجاد بالطبعة الثالثة ، التى انتهيت الآن من صياغتها .

وفى إعدادى لأصول الطبعة الثالثة قمت باعادة تنظيم جذرية لهذا الكتاب ، بحيث تجعل من اليسير على القارئ متابعة مختلف الانساق النظرية التى ظهرت فى المرحلة الكلاسيكية من تاريخ النظرية السوسيولوجية . وان كنت لم أضف سوى مجموعة من المقدمات للأبواب والفصول، اضافة الى معالجة بعض القضايا ، على سبيل المثال محاولة تحديد الأطر التحليلية لدراسة النظرية السوسيولوجية وارتباطا بذلك اطارنا المقترح لتحليل النظرية الاجتماعية . اضافة الى تقديم دراسة عن قضية العلاقة بين الايديولوجيا والعلم ، أو بالأصح بين الايديولوجيا والنظرية السيوسيولوجية فى اطار الباب الأول .

واعتقد ان هذا المؤلف قد أخذ شكله النهائى – حتى الآن – واعتقد انى بذلت الجهد لابرازه بشكل افضل عن الشكل الذى برز من خلاله فى الطبعات السابقة . وانى لأتمنى ان اكون بهذا الجهد قد عبرت عن شديد احترامى للقارئ العربى ، وايضا كتعبير عن الأمل فى علم اجتماع عربى يعكس واقعنا الاجتماعى والتفاعلات التى تقع فيه .

وانى لأتوجه بالشكر الى زملائى الذين كانت لملاحظاتهم القيمة الأثر الكبير فى تطوير هذه الطبعة وأخص بالذكر الزميل العزيز الأستاذ صالح سليمان المعيد بقسم الإجتماع – جامعة عين شمس للمعاونة القيمة والمخلصة التى بذلها لمساعدتى فى إخراج هذه الطبعة ، كذلك اشكر طلابى بالجامعة لما طرحوه من قضايا شكلت مادة للحوار والجدل بينى وبينهم ، وأسهمت فى النهاية فى الارتقاء بهذا العمل الى مستويات تجاوزت الطبعات السابقة .

والله الموفق أولا وأخيراً

العجوزة فى ١٩٩٠/١٢/٢٩

مقدمة الطبعة الثانية

يكشف تتبع الحركة التاريخية للنظرية الاجتماعية عن تطورها عبر أربعة مراحل أساسية يمكن تمييزها على النحو التالى :

١ – ففى الفترة التى امتدت بين بداية القرن السادس عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر ، عاش التفكير الاجتماعى فى اطار المرحلة التى يمكن تسميتها بمرحلة التمهيد . وهى المرحلة التى شهدت ازدهارا للتفكير العقلى خلال مرحلة التنوير .

ولقد كان تأسيس النظام الاجتماعى فى قلب الفوضى الواقعية التى شهدتها أوربا خلال هذه الفترة ، هو الموضوع الرئيسى الذى انصب عليه الاهتمام . كيف يمكن استئناس الجوانب الغريزية والوحشية للانسان لتخلق النظام الاجتماعى استنادا الى ذلك . وفى محاولة بحث هذه القضية أفرزت هذه المرحلة نظريات العقد الاجتماعى ، التى حاولت أن تقدم حلولا لمشكلة تأسيس النظام الاجتماعى . بحيث تراوحت هذه الحلول بين الحلول الديموقراطية (روسو) والحلول الدكتاتورية (هوبز) لقضية النظام .

٢ – وتغطى المرحلة الثانية الفترة الواقعة بين قيام الثورة الفرنسية التى أسست النظام السياسى الحديث ، والثورة الصناعية التى أسست النظام الرأسمالى الحديث أيضا . ويمكن القول بأن طبيعة النظام – وليست نشأة النظام كما فى المرحلة السابقة – هى القضية التى شكلت جوهر اهتمام هذه المرحلة . وفى مواجهة هذه القضية أفرزت هذه المرحلة نموذجين من التنظير .

الأول يتمثل فى الاتجاهات النظرية العامة – المثالية ، الوضعية ، النفعية – التى ظهرت فى بداية هذه المرحلة ، والتى نشأ فى ظلها الحوار الذى يتعلق بشرعية النظام الاجتماعى القائم ، ومشروعية قيام علم للاجتماع يتصدى للمشكلات التى تتعلق بطبيعة النظام .

أما **الثانى** فيتمثل فى الأنساق النظرية التى ظهرت فى نهاية هذه المرحلة . وخلال هذه الفترة دار الحوار أساسا حول من الذى يتحمل عبء العملية الاجتماعية ، ومن الذى له أن يستفيد منها . وتمثلت هذه الأنساق النظرية فى الماركسية ، نظرية دوركيم ، نظرية فيبر ثم نظرية باريتو ، ومارشال وغيرهم . وبغض النظر عن الحلول التى قدمت لمشكلة – طبيعة – النظام فى هذه المرحلة فقد تركز الاهتمام خلال هذه المرحلة على المجتمع الصناعى والرأسمالى المعاصر لهذه الأنساق .

٣ – ويمكن أن نسمى المرحلة الثالثة بمرحلة الاستمرار والنضج وقد تميزت هذه المرحلة بأنها لم تضف قضايا جديدة بقدر ماحاولت تعميق قضايا الأنساق النظرية للمرحلة السابقة . ويمكن القول بأن طبيعة النظام الاجتماعى شكلت مجال اهتمامها . ونستطيع التأكيد بأن الاسهام الحقيقى لهذه المرحلة قد تم على مستوى مناهج البحث الاجتماعى من ناحية ، ومن ناحية أخرى على مستوى التفاعلات الاجتماعية البسيطة فلم يهتم التنظير فى هذه المرحلة بالنظام الاجتماعى كاطار شامل بقدر ماتركز الاهتمام حول التفاعلات التى تتم بداخله ، نذكر من الأنساق النظرية لهذه المرحلة ، البنائية الوظيفية ، الماركسية المحدثة ، التفاعلية الرمزية،النظرية السلوكية ، نظرية التبادل ، نظرة المباراة أو اللعب .

٤ – وتعتبر المرحلة الرابعة هى المرحلة النقدية لكل منجزات المراحل الثلاث السابقة ، سواء على المستوى النظرى أم على المستوى المنهجى . وإذا كانت المراحل الثلاث السابقة قد اهتمت بقضايا تأسيس النظام الاجتماعى واستمراره . فان اهتمام المرحلة النقدية انصب بالأساس على وطأة النظام الاجتماعى وتأثيره على الانسان واختزاله الى انسان البعد الواحد . تهتم هذه المرحلة أيضا بتحرير الانسان مما يمكن أن نسميه بالنظام الفائض قياس على مفهوم الكبت الفائض لهربرت ماركيوز .

واذا كانت الاتجاهات النقدية قد ضمت فصائل عديدة يعجز بعضها عن أن يطور موقفا نظريا محددا فاننا نجد أن مدرسة فرانكتورت ونظريتها التى تنصب أساسا على نقد المجتمع ، تقدم أفضل تعبير عن موقف هذه المرحلة النقدية .

ويكشف البحث فى طبيعة أفكار هذه المراحل الأربعة ومواطن اهتمامها ، أنها ألهمت باطارين مرجعيين .

١ – وتمثل عقلانية التنوير الاطار المرجعى الأول الذى وجه أفكار وقضايا المراحل الثلاث الأولى . حيث نجد أن الأنساق النظرية لهذه المراحل الثلاث تشترك فى الايمان بقدرة العقل على تنظيم الواقع الانسانى والاجتماعى ، وتشترك أيضا فى التأكيد على استخدام مناهج العلم الطبيعى ، ويستهدف جهدها العلمى الوصول الى مجموعة من القوانين التى تساعد على ضبط التفاعل الاجتماعى والسيطرة عليه ، أو لنقل تأكيد وطأة النظام على الانسان وقهره .

٢ - ويتحدد الاطار المرجعى الثانى بالفكر النقدى الذى يتضمن قضايا كثيرة ومتنوعة بعضها ينتمى الى المثالية النقدية أو الموضوعية ، بينما ينتمى البعض الآخر الى الفلسفة الوجودية أو فلسفات العبث واللامعقول . ومن الطبيعى أن تتحرك هذه القضايا التى تنتمى الى مجالات متعددة الى تشكيل اطار متماسك لفكر اجتماعى مشرق وجديد وانسانى ، يؤكد على انسانية البشر ، ويعمل على تحريرهم من القهر أو الكبت الفائض للنظام . ومن الطبيعى أن يشكل الاطار المرجعى لهذه المرحلة جدلا مع فكر التنوير ومنجزاته أو لنقل نفيا له .

ويحاول هذا الكتاب - بعد تعديله - أن يعرض بشكل موجز للأنساق النظرية التى سادت مرحلتى التمهيد والانطلاق . ويبقى علينا واجبا أكاديميا يتمثل فى ضرورة التعرض بالمعالجة لمرحلتى (الاستمرار) و (النقد) حتى يمكننا أن نقدم للعقل الاجتماعى العربى ، خريطة توضح معالم النظرية السوسيولوجية ، نتمنى أن تمتلك قدرا من الشمول والعمق .

وأخيرا فبرغم الكلمات المشرفة التى قدمنى بها استاذى الأستاذ الدكتور محمد الجوهرى فى تصديره للطبعة الأولى ، داخلنى احساس بالقلق والخوف من العجز عن أداء المهمة التى عينت لى ، وانى لاتمنى أن أكون قادرا على الانجاز الذى يجسد شموخ هذه الكلمات .

وعلى الله قصد السبيل

العجوزة فى ١٩٨٣/٦/٢٦ .

تصدير

بقلم

الدكتور محمد الجوهرى

استاذ ورئيس قسم الاجتماع

وعميد

كلية الآداب - جامعة القاهرة

يستوجب التسجيل لنشأة النظرية السوسيولوجية وتطورها - أيا كانت بؤرة اهتمام الباحث القائم بهذا التسجيل - أن نأخذ فى الاعتبار بعدين أساسين :

أما البعد الأول فيتمثل فى التفاعلات الواقعية التى عاصرت نشأة النظرية موضع الاهتمام ، أو تلك التى جردت عنها . ونقصد بذلك البحث عن العلاقة بين مجموعة الأحداث الواقعية من ناحية ، وبناء النظرية من حيث مقولاتها الأساسية وموقفها من هذه الأحداث من ناحية أخرى .

ويتمثل البعد الثانى فى ضرورة أن نأخذ فى الاعتبار الأصول الفكرية للنظرية موضع الاهتمام ، وفى هذا الاطار ننظر الى النظرية موضع الاهتمام من حيث أنها حلقة متنامية فى اطار نسق نظرى شامل له أبعاده التاريخية والمعاصرة .

وفى محاولة ادراك طبيعة وبناء النظرية السوسيولوجية - فى تطوراتها التاريخية والمعاصرة - فاننا نجد أنه من الضرورى أن نأخذ هذين البعدين فى الاعتبار بهدف أن يكون ادراكنا أكثر كفاءة بقدر الامكان ، وأكثر تجنبا لنواحى النقص والقصور .

وفى اطار البعد الأول - حيث فاعلية الأحداث أو المعطيات الواقعية - نرى أن علم الاجتماع نفسه ، ونظريته العامة قد ولد فى اطار حركة شاملة لمحاولة تعقل الوجود الذى يعيشه الانسان ، بحيث دفع الى ذلك وقوع ثلاثة أحداث هامة كان لها تأثيرها فى اشاعة حالة من الفوضى فى مختلف جوانب الوجود الواقعى للانسان مما جعل حياته فى نطاقها صعبه ومستحيلة .

ويمثل انهيار الكنيسة الكاثوليكية تحت وطأة انتصار الثورة البروتستنتيه أول هذه الأحداث ، حيث انهار معها بناء كل من القيم والمعتقدات وأنماط السلوك . ومن ثم شكلت

نظريات العقد الاجتماعى بالاضافة الى بدايات الاتجاهات النظرية العامة الوسائل التى طرحها العقل البشرى محاولا عن طريقها اعادة تنظيم واقعه .

أما الواقعة الثانية فقد تمثلت فى الثورة الفرنسية . واذا كانت الأحداث الأولى والفكر الذى تخلق عنها قد تعلقت أساسا بالنظام الاجتماعى ، من حيث تشخيص أسباب انهياره وأكثر الاستراتيجيات ملاءمة لاعادة البناء ، فان أحداث وفكر هذه المرحلة قد تعلق أساسا بالانسان ، كيف نحفظ له هويته فى مواجهة المجتمع الذى خلقه ، بينما نجده الآن يقهره .

ومثلما كان قائما أن يعيش المجتمع الفرنسى ابان ثورته عصرا من الرعب تخلص فى اطاره الثوار – من خلال القتل والتصفية – من النظام القديم بكل مظاهره الفاسدة ، فلقد كان رائعا أن تكتب الدماء التى سالت وثيقة حضارية تؤكد حرية الانسان وحقوقه الأساسية . ومن ثم فاذا كانت الواقعة الأولى قد حررت النظام ، فان الثانية هى التى تولت تحرير الانسان المتضمن فى هذا النظام .

وتعتبر الثورة الصناعية هى الواقعة الثالثة التى صاحب ولادتها حالة من الفوضى وانهيار التنظيم الاجتماعى فى بعض جوانبه ، هذا بالاضافة الى أنها دفعت النظام الرأسمالى بطابعه الحديث . وانعكاسا لذلك تأسس نظام من التفكير يحاول اعادة تنظيم الواقع الاجتماعى بما يخلق علاقة متوازنة ، حيث نظام اجتماعى يلائم تحقيق امكانات الانسان ، فى مواجهة انسان قادر على التفاعل مع الآخر بما يدعم الوجود الاجتماعى ويشبع حاجاتهما معا فى اطاره .

ولقد شكلت الأوتومية الواقعة الرابعة ، حيث انتشار الظاهرة الصناعية وا تنظيمات البيروقراطية المرتبطة بها فى مختلف جوانب الواقع الاجتماعى ، بحيث تحول النسق الاجتماعى الى كل هائل له سيطرته القوية على الانسان فى اطاره ، من حيث حركته وسلوكه وعلاقاته . بحيث أصبح الانسان مستوعبا فى اطار التفاعل الاجتماعى وليس متاركا فى صياغته . وانعكاسا لذلك ظهرت الاتجاهات الراديكالية كمحاولة لاستعادة هوية الانسـ ن وحقوقه المسلوبة فى مواجهة النسق الاجتماعى .

***

ولقد واكب تطور الأحداث الواقعية على هذا النحو تطور فكرى مناظرا له . حيث تحرك الفكر بشأن المجتمع متطورا من مرحلة الى أخرى ، ومتناميا من حيث قدرته على الاتصال بالواقع ، وقيادة تفاعله . وفى ضوء ذلك يمكننا تمييز أربعة مراحل أساسية تالية .

المرحلة الأولى ، ويمكن تسميتها بمرحلة التأسيس الأكاديمى ، وهى المرحلة التى أعقبت الاتجاهات النظرية العامة . ولقد شهدت هذه المرحلة أنساقا نظرية شامخة اشتقت تعميماتها من أصول فلسفية لها ، وحاولت التعامل مع الواقع بالنظر الى هذه التعميمات . ويمكن أن نميز أربعة نماذج من التنظير فى اطار هذه المرحلة .

١ – الأنساق النظرية للرواد ، كالنظرية الماركسية والنسق النظرى لماكس فيبر ، والنزعة السوسيولوجية لاميل دوركايم ونظرية الرواسب والمشتقات لباريتو . ولقد تميزت هذه الأنساق بمحاولة تقديم تصور شامل للواقع الاجتماعى ، من حيث عناصره وعملياته يعكس الى حد كبير رؤية المنظر وقناعاته الفلسفية .

٢ – النظريات العاملية وهى التى رأت فى الواقع الاجتماعى متغيرا تابعا لفاعلية متغير مستقل أساسا ، اقتصاديا كان أو جغرافيا أو سلالياً أو حتى سوسيولوجيا .

٣ – أما النموذج الثالث فيتمثل فى نشأة المدارس النظرية التى تمتلك مجموعة من المقولات العامة التى تشكل طبيعة تصورها للوجود الاجتماعى ، ولقد تميزت هذه المدارس النظرية بانتماء الرواد لها وليس العكس ، هذا بالاضافة الى تجريد تعميماتها عن معطيات امبيريقية أساسا .

٤ – النزعة الأمبيريقية التى بدأت بالاتجاه العلمى لكل من روجر وفرنسيس بيكون ، واستمرت من خلال النزعة الأمبيريقية الانجليزية ، ووجدت تجسيدها الحقيقى فى الفكر الانثروبولوجى فى مرحلة تاريخية تالية . ولقد تميز الفكر الأمبيريقى فى هذه المرحلة بعدم رغبته فى الابتعاد عن المعطيات ، ورفضه الاستغراق فى تأسيس الصياغات النظرية مفضلا رفع شعار دع الحقائق تتحدث عن نفسها .

ومن الملاحظ تميز التنظير الذى أفرزته هذه المرحلة بخاصيتين :

الأولى امتلاك الأنساق النظرية – باستثناء النزعة الأمبيريقية – لتصور شامل فيما يتعلق بالواقع الاجتماعى من حيث عناصره وعملياته وعلاقاته ، واتباعها الأسلوب الإنتقائى فى البرهنة .

وتتمثل الثانية فى تضمن هذه التصورات النظرية الشاملة لعديد من التوجيهات الأيديولوجية ، بحيث فرضت تعميماتها على الباحث موقفا اعتقاديا نحو الواقع الاجتماعى الذى يعيشه . بحيث أعاقها ذلك فى بعض الأحيان عن القدرة على استيعاب متغيرات الواقع

المتجددة ، من ثم فقد عجزت النظرية السوسيولوجية عن تطوير تراكم نظرى يعتبر نتاجا للعلاقة المتفاعلة بين ابداعات التنظير من ناحية ومعطيات الواقع المتنوعة من ناحية أخرى .

المرحلة الثانية ، ويمكن أن نعتبرها المرحلة النقدية . حيث اتجه التفكير فى اطارها الى اخضاع التنظير السوسيولوجى لنوع من التحليل والنقد بهدف تنقيح التعميمات النظرية القائمة بغية التوجه نحو صياغة نظرية سوسيولوجية عامة تمتلك مقومات النظرية العلمية من حيث امكانياتها وكفاءتها التحليلية .

ويمكن تصنيف الاسهامات النظرية لهذه المرحلة الى ثلاثة نماذج أساسية :

١ – النموذج الأول هو النقد الأكاديمى ، الذى تولى تقييم الأنساق النظرية للمرحلة السابقة بالنظر الى محكات أكاديمية أساسا ومن أهم كتابات هذا النموذج مؤلف بيترم سروكن (النظريات الاجتماعية المعاصرة ١٩٢٨) ، ومؤلف دون مارتندال (طبيعة ونماذج النظرية السوسيولوجية ١٩٦١) .

٢ – أما النموذج الثانى فهو النقد الأيديولوجى ، حيث قيم هذا النموذج من النقد الأنساق النظرية أو أى من تعميماتها بالنظر الى متضمناتها الأيديولوجية ، وكمثال على هذا الطراز من النقد مؤلف ارفنج زايتلن (الأيديولوجيا ونشأة النظرية الاجتماعية ١٩٦٩) ، ثم مؤلفه الأخير (اعادة التفكير فى علم الاجتماع ١٩٧٣) .

٣ – أما النموذج الثالث فيمكن أن نسميه بالتحليل أو النقد بالنظر الى السياق . حيث الأفكار والتعميمات النظرية من وجهة نظر هذا النموذج ليست إلا انعكاسا مباشرا للواقع الاجتماعى التى ظهرت فى اطاره وجردت عن تفاعلاته . ومن أهم الأمثلة على هذا الطراز من الكتابات مؤلف الفن جولدنر (الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى ١٩٧١) .

أما المرحلة الثالثة فيمكن أن نسميها بمرحلة المراجعة النظرية ، حيث تتسست فى اطارها مجموعة من الجهود النظرية التى حاولت الاستفادة من منجزات المرحلة الأولى والثانية بهدف تأسيس مجموعة من التعميمات التى تشكل مواقع اتفاقية من قبل مختلف نماذج النظرية السوسيولوجية ، بحيث تصبح هذه التعميمات أساسا لنشأة النظرية العامة فى علم الاجتماع .

ويمكننا أن نميز فى هذه المرحلة أربع استراتيجيات للمراجعة :

١ – وتتمثل الاستراتيجية الأولى فى مجموعة الممارسات التوفيقية التى تحاول صياغة مجموعة من التعميمات النظرية التى يمكن الوصول اليها من خلال التسوية أو التوفيق بين

التعميمات النظرية المتباينة والمنتمية لأنساق نظرية متضادة . ومن أهم الأمثلة على ذلك تلك المحاولات التى بذلها كل من فاندنبرج وجـــوندر فرانك G.Frank وأيضا ن.ج.دى ميراث N.J.D Merath .

٢ – وتهدف الاستراتيجية الثانية للمراجعة النظرية الى اعادة صياغة الأنساق النظرية من حيث تصوراتها فيما يتعلق بجوانب محددة للبناء الاجتماعى سواء كانت ذات طابع استقرارى أو دينامى . ومن أهم المؤلفات فى هذا الصدد مؤلف لومى Charles P.Loomis & Zona K.Loomi (النظريـــة الاجتماعيـة الحديثـة ١٩٦١) ودراسة انتـونى جايدنـز (الرأسمالية ونشأة النظرية الاجتماعية ١٩٧٧) .

٣ – وتهتم الاستراتيجية الثالث من استراتيجيات المراجعة بتجميع التعميمات الصادقة أمبيريقيا والسليمة منطقيا التى وفرها التراث النظرى لعلم الاجتماع ، وربما لعلوم اجتماعية أخرى كالأنثروبولوجيا وعلم النفس ، بهدف تأسيس نظرية شاملة عن النسق الاجتماعى ، ومن أبرز المحاولات فى هذا الصدد ماأنجزه عالم الاجتماع الأمريكى تالكوت بارسونز فيما يتعلق بنظريته العامة التى طورها فى سلسلة مؤلفاته .

٤ – أما الاستراتيجية الرابعة والأخيرة من اسراتيجيات المراجعة فتتمثل فى المحاولات التى تهدف الى اعادة صياغة تعميمات مختلف المواقف النظرية فيما يتعلق بمفاهيم محددة لها متغيراتها الواقعية . ويمكن اعتبار دراسة عالم الاجتماع أيزنشدات للحصول على درجة الدكتوراه (معنى مصطلح اجتماعى فى علم الاجتماع) ومؤلف ريتشارد . ج . برنشتين (اعادة تأسيس النظرية الاجتماعية والسياسية ١٩٧٩) من أهم الدراسات فى هذا الصدد .

أما المرحلة الرابعة فيمكن أن نسميها بالمرحلة الرافضة ، حيث قدمت الاتجاهات النقدية الحديثة فى علم الاجتماع موقفا راديكاليا ترفض فى اطاره كل منجزات الأنساق النظرية السابقة ، أو على الأقل ترى فيها أنساقا نظرية عاجزة عن تقديم فهم لتفاعلات الواقع الانسانى المتحدد .

* * *

ويقع موضوع الدراسة فى اطار الاستراتيجية الرابعة من استراتيجيات المراجعة التى سادت المرحلة النظرية ، حيث يتمثل هدفها الأساسى فى تحديد المقولات التى طرحتها مختلف

الأنساق النظرية فيما يتعلق بالفعل الاجتماعى كمفهوم أساسى ، سواء تلك الخاصة بالجوانب المنهجية أو تلك المتعلقة بالمستويات العينية .

فى اطار ذلك يتحدد هدف هذه الدراسة فى تحديد القضايا الأساسية لنظرية الفعل الاجتماعى – فى مستوياتها المنهجية والعينية – كما تراها مختلف الأنساق النظرية موضع التحليل . ثم تحديد طبيعة التباين بين مختلف الأنساق النظرية فيما يتعلق بذلك .

واستنادا الى ذلك نستطيع أن نتبين أهداف الدراسة على النحو التالى :

١ – تحديد طبيعة المقولات الأساسية المتعلقة بادراك الفعل الاجتماعى أو تلك التى تهتم بعناصره الأساسية فى حالة تفاعلها الواقعى ، وذلك من وجهة نظر الأنساق النظرية موضع التحليل .

٢ – تحديد التغيرات التى قد تطرأ على الطبيعة الأساسية للفعل كما يراها النسق النظرى ، مع تحديد العوامل المسئولة عن هذه التغيرات سواء من داخل النسق النظرى أو من خارجه .

٣ – تحديد العوامل التى أدت الى تباين مختلف الأنساق النظرية التى تعيش مرحلة تاريخية وفكرية واحدة فيما يتعلق بتصورها للمقولات الأساسية لنظرية الفعل الاجتماعى ، وعما اذا كانت هذه العوامل ذات طبيعة ابستمولوجية أو ذات طبيعة انطولوجية .

٤ – اجراء مراجعة نقدية لمختلف تصورات الفعل التى طورتها النظرية السوسيولوجية بهدف تحديد مواضع الاتفاق والتباين بين مختلف المواقف النظرية ، سواء فيما يتعلق بمقولات الادراك المنهجى أو مقولات التفاعل العينى ، هذا بالاضافة الى تحديد التطرفات التى قد تنتاب بعض المواقف النظرية ، والعوامل المسئولة عن ذلك ، لهدف الوصول الى صيغة تعكس موقف مختلف المواقف النظرية فيما يتعلق بقضايا نظرية عن الفعل الاجتماعى .

* * *

ولانجاز هذه الدراسة **حددت الدراسة منهجيتها** وفقا للابعاد الأساسية التالية :

أولا : اختار الباحث ثلاث مراحل تاريخية مرت بها النظرية السوسيولوجية نتقى من بين كل منها الأنساق النظرية موضع التحليل ، بحيث تكون ممثلة للاتجاهات الأساسية التى سادت المرحلة ، ويمكن تحديد هذه المراحل فيما يلى :

١ - **المرحلة الأولى** ، وهى مرحلة النشأة ، وتغطى هذه المرحلة الفترة من القرن السادس عشر وحتى القرن الثامن عشر . حيث بدأت هذه الفترة التاريخية بظهور نظريات العقد الاجتماعى وانتهت بظهور الاتجاهات النظرية العامة .

وفى هذا الاطار تناول المؤلف الاتجاهات النظرية العامة (المثالية ، الوضعية ، النفعية) باعتبارها تمثل ارهاصات البداية لنشأة النظرية السوسيولوجية ، هذا بالاضافة الى كونها قد طرحت تصورات متباينة من حيث العناصر الأساسية للفعل الاجتماعى .

٢ - **المرحلة الثانية** وهى المرحلة الكلاسيكية ، حيث تركز البحث خلال هذه المرحلة فى طبيعة الفعل الاجتماعى ثم طبيعة المتغيرات ذات الفاعلية والأهمية فى بناء الفعل . ولقد تناول المؤلف ثلاث أنساق نظرية كنماذج ممثلة لهذه المرحلة ، وهى النّظرية الماركسية ، ثم نظرية أميل دوركيم ، والنسق النظرى لماكس فيبر .

٣ - وتعتبر المرحلة المعاصرة هى المرحلة الثالثة حيث عرض المؤلف فى اطارها للموقف النظرى فيما يتعلق بالفعل الاجتماعى . حيث محاولة تقديم صياغة مقننة لنظرية فى الفعل الاجتماعى ، مستندة الى التراث الكلاسيكى ، كتلك التى قدمها تالكوت بارسونز من خلال النسق البنائى الوظيفى من ناحية ، بالاضافة الى وجهة نظر الاتجاهات النقدية الحديثة فى هذا الصدد كتصور محدث .

ثانيا : أنجز المؤلف تحليله للانساق النظرية موضع الاهتمام بالنظر الى اطار تحليلى يحتوى على ثلاثة أبعاد رئيسية :

١ - البعد المعرفى ، وهو البعد الأول ، حيث يتركز فى طبيعة السياق الاجتماعى والفكرى لنشأة النسق النظرى وذلك لمحاولة استكشاف طبيعة العلاقة بين التفاعلات الكائنة بالسياق الاجتماعى ، وبين قضايا نظرية الفعل الاجتماعى التى جردت فى اطاره . ثم علاقة هذه القضايا بالانجازات الفكرية التى أهلت لتأسيسها .

٢ - البعد الثانى ، وهو البعد المنهجى . حيث حاول المؤلف خلاله تحديد القضايا المنهجية المتعلقة بادراك الفعل الاجتماعى كما يتبعها كل نسق نظرى .

٣ - أما البعد الثالث ، فهو البعد العينى substantive حيث حاول المؤلف فى اطاره تحديد القضايا العينية المتعلقة بعناصر الفعل الاجتماعى الواقعى ، أو تلك الخاصة بالتفاعل بين هذه العناصر والعلاقات بينها .

ولانجاز ذلك قسم المؤلف دراسته الى ثلاثة أبواب تتضمن سبعة فصول وقد حاول فى الباب الأول والمعنون (نظرية الفعل الاجتماعى والبحث عن البداية) تحديد البداية التاريخية والتحليلية لنشأة نظرية عن الفعل الاجتماعى .

وفى الباب الثانى المعنون (نظرية الفعل الاجتماعى : ملامح المرحلة الكلاسيكية) حاول المؤلف تحليل الأنساق النظرية التى سادت المرحلة الكلاسيكية ، حيث تناول النظرية للماركسية ، والنزعة السوسيولوجية لدوركيم والنسق النظرى لماكس فيبر ، كتصورات ممثلة لهذه المرحلة .

وفى الباب الثالث المعنون (نظرية الفعل الاجتماعى من منظور محدث) عرض المؤلف لوجهة نظر البنائية الوظيفية فيما يتعلق بالفعل الاجتماعى ، وفى فصل آخر لوجهة نظر الاتجاهات النقدية الحديثة فى هذا الصدد .

* * *

ولاشك أن هذا العمل الذى يسعدنى أن أقدمه اليوم للقارئ العربى سوف يمثل معلما هاما من معالم تطور الكتابة الأكاديمية رفيعة المستوى فى علم الاجتماع . فقد توج به صاحبه حقبتين قضاهما فى الانقطاع المتفانى للبحث العلمى ، ورفض أن يسير مع السائرين ، وأن يقتنص الفرص العديدة التى لاحت له ، رفض أن يستجيب لاغراءات الدنيا الزائلة وتشبث بالخلق القويم والرجولة الحقة والاخلاص الكامل للبحث العلمى . كانت هذه الثمرة اليانعة التى ستضعه فى مكانه الجدير به وسط أسرة الاجتماعيين العرب ، كواحد من أبرز منظرى هذا العلم على مستوى الناطقين بالضاد . وبذلك ، وعلى أساس هذا العمل ، يرقى البحث السوسيولوجى العربى الى آفاق رفيعة ، يحلق فيها فى زهو واعتزاز واثق الخطا الى جانب المدارس النظرية التى عرفتها البلاد التى سبقتنا شرقا وغربا .

واذا كنت قد تشرفت بمرافقة الدكتور على ليلة على امتداد السنوات الأخيرة مشرفا على بحثه هذا ، فقد حققت لى هذه الزمالة (ولا أقول الأشراف) سعادة غامرة وفخارا زهو به على مر الأيام . وهو فوق كفاءته العلمية وسعة اطلاعه ونفاذ بصيرته ، انسان كريم الخلق ، يجمع عديدا من صفات العالم الحق فى التواضع والصبر والهدوء وسعة الصدر والأمل العريض .

لذلك لا أغالى اذا قلت ان هذه البداية التى نقدمها اليوم للقارئ انما تبشر بانتاج عريض وجهد خلاق مجدد فى البحث والتفكير سوف يغنم منه كل قارئ وكل دارس لعلم الاجتماع على امتداد رقعة الوطن العربى .

والله يوفقنا الى مافيه الخير والسداد .

محمد الجوهرى